Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غير أن الفن الذي ميّز هذا الشاعر. هو فن الوصف، فقد طغى على كلّ ألوان شعره، هو في شعر الطبيعة، وهو أيضا في قصائده الوطنية والاجتماعية. والانسانية. فالشاعر «يقف أمام الطبيعة وقفة المسحور، ولايصورها الا بعد أن يغمس ريشته في مداد قلبه، وكأن الطبيعة التي يصفها كائنٌ حيّ له قلب يدق، وعرق ينبض، وأنفاس تتدفق»[1]

واذا كان الشعراء القدامى، قد افتتنوا بطبيعة بلاد الشام، كحسان بن ثابت، والصنوبري والبحتري(*) غير أن خليل مردم وصف طبيعة بلاده متأثراً أيضا بالتيار الرومانتيكي الوافد من أوربا. وقد لاقى هذا التيار هوى في نفسه ولاءم ذوقه وطبيعته الخاصة.

وهكذا يمكن القول أن شعر خليل مردم قد خطا بالكلاسيكية الجديدة خطوة الى الأمام فهو لم يقف على تخوم الشعر القديم، وانما تجاوز ذلك بمقدار وتخطى حركة الأحياء التي مثلها البزم ممهداً لمرحلة التجديد، وظل يدور في فلك القصيدة العربية القديمة ولكنه سعى الى تجديد معانيه واختيار ألفاظه، وذهب الى أبعد من ذلك، حيث تحرر من بعض ألوان الشعر التقليدي، فليس له في الرثاء والحكمة الا قصائد معدودة، وليس له في المدح والفخر الا أبيات قليلة، كما خلا شعره خلوا تاما من قصائد الهجاء والعبث والمجون. وسعى في وصفه الى تقديم القصيدة. لوحة متكاملة، لاتعتمد البيت الواحد، شأن الشعر القديم، بل تتسلسل فيها الأبيات وتترابط لتحقق وحدة القصيدة وانسجامها وتنم تلك القصيدة في فن الوصف عن ادراك الشاعر لوظيفة الشعر الجمالية:

والشعرُ يستهوي النهى إنْ كان في ... وصفِ الجمالِ وكانَ من إلهامهِ

* * * * *

(١) سامي الكيالي -الأدب العربي المعاصر في سورية مصر ١٩٦٨ -ص٢٨٤

(*)- قال البحتري: فلم أر مثلَ الشام دارَ إقامةٍ ... لراح أعاديها وكأسٍ أديرها
مصحة أبدانٍ، ونزهة أعينٍ ... ولهو نفوسٍ دائم وسرورُها